# طلعنا عالحرّية

حرية كرامة مواطنة

مجلة مستقلة، تعنى بشؤون الثورة السورية، نصف شهرية، تطبع وتوزع داخل سوريا وفي عدد من مخيمات اللجوء والتجمعات السورية في الخارج

العدد 55

6 / 9 / 2015

## بركان الجبل.. هل يعود إلى القمقم؟

## الواقع الطبي في الغوطة الشرقية بين الحاجة الملحة وفوضى التنظيم

## (فلم بالبلم) السوريّة التي أنقذتْ القارب بمن فيه

## مخيم اليرموك.. اتفاق النظام وداعش والفصائل على حصار المخيم

**مقالات**

- في حياة السوريين وموتهم
- الثورة وفضاءاتها
- اللجوء من الوطن
- تحويل الألم إلى فرجة
- خطاب النظام وسيكولوجيا جماهيره

# بركان الجبل..
# هل يعود إلى القمقم؟

ليلى الصفدي

أدت التفجيرات التي حدثت بالأمس في السويداء وأودت بحياة أكثر من ثلاثين شهيداً كان من بينهم قادة شيوخ الكرامة الشيخ أبو فهد وحيد البلعوس والشيخ فادي نعيم، إلى موجة عارمة من الاحتجاجات والتي تطورت إلى اشتباكات كان من نتائجها إخلاء غالبية الفروع الأمنية في المدينة، وتحطيم التمثال المركزي للقاتل حافظ الأسد في ساحة "السير" سابقاً، والتي تحولت إلى "ساحة الكرامة" عقب الأحداث.

وكان موكب شيوخ الكرامة قد تعرض لتفجير بسيارة مفخخة أثناء مروره بطريق ظهر الجبل، أعقبه تفجير آخر على باب المشفى الذي تم نقلهم إليه في محاولة للإجهاز على من تبقى منهم.

ورغم الضبابية التي لا تزال تغلف الأوضاع في المحافظة إلا أنّ ما تسرب حتى الآن من معلومات رغم الانقطاع شبه التام للاتصالات يشير إلى موقف جذري وعالي السقف ضدّ النظام الأسدي، وإلى حالة وعي عامة يبدو أنها لن تنخدع بعد اليوم بأكاذيب النظام الذي يتبجح بحماية الأقليات ويحاول إلصاق التهمة بجهات إسلامية متطرفة بات يرى الكثيرون أيضاً أن قسماً منها ليس أكثر من أدوات بيديه يستغلها عند الحاجة.

وفي هذا الصدد وجه بيان نُسب إلى بيرق الكرامة بقيادة نجل الشهيد أبو يوسف رأفت البلعوس الاتهام المباشر "لزمرة وفيق ناصر وعصابة الأسد في السويداء"، كما "حمّل اللجنة الأمنية مسؤولية كل ما جرى ويجري من اغتيالات وزج الجبل في أتون هذه المواجهة الدموية". وعلى هذا الأساس أعلن البيان "جبل العرب منطقة محررة من عصابات الأمن وزمرهم".

لم يتسنَ لنا حتى موعد إعداد هذا التقرير الاتصال بالناشطين داخل المحافظة لأن النظام عمد إلى قطع تام لوسائل الاتصال، إلا أننا حاورنا عدداً من الناشطين من أبناء المحافظة والمتابعين لتفاصيل ما يجري من الخارج، وكان سؤالنا المركزي ضمن الهاجس العام في هذه المرحلة: هل سيتمكن النظام من احتواء الموقف كعادته هناك؟

الكاتب والسيناريست حافظ قرقوط يعتقد أن الأمور باتت خارج يد النظام تماماً، وقال في رد على سؤالنا: "لا أعتقد أن النظام سيستطيع السيطرة على الوضع والأمور خرجت عنه ولن تعود للخلف بكل المقاييس". كما طمأن إلى أن الأمور لا تسير باتجاه الفوضى مؤكداً أن "الشباب بالآلاف يسيطرون على الأوضاع بما فيها حماية الممتلكات العامة والخاصة".

أما الناشط والمدون السوري سامر المصفي فقد خمّن أن "النظام سيستميت لعودة المياه لمجاريها، ولا بد أن يقدم أثماناً باهظة لذلك.. أثمان أغلى من رأس وفيق ناصر وإقالة المحافظ هذه المرة".

إلا أنه لفت من جانب آخر أن "من سيحتوي الموقف هو التيار الآخر، ما يسمى بـ (درع الوطن)، والصراع الحقيقي هو هنا وليس مع عناصر الأمن والجيش فهؤلاء هم الحلقة الأضعف".

وأضاف: "الآن عصا النظام الغليظة هي طريق الشام ورواتب الموظفين، وسوف يستثمر درع الوطن وحلفاؤه هذه العصا لمصلحتهم بهدف الوصول إلى الزعامة الكاملة بعد اختفاء البلعوس من الوجود. من هنا سيدخل النظام من هذا الثقب الضيق.. وصولاً لتبويس الشوارب و(ما

طلعنا عالحريّة

مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

للنشر أو مراسلة فريق التحرير
freedomraise@gmail.com

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- الجريدة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد.

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
www.freedomraise.net
facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise

هيئة تحرير طلعنا عالحرية
رئيس التحرير : ليلى الصفدي
معاون رئيس التحرير : أسامة نصّار
محررون
أوس المبارك - أبو القاسم السوري
محرر القسم الكوردي
ميرال بيروردا
زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية
رزان زيتونة - ناظم حمادي

بدنا فتنة).. "

وقدر المصفي أن النظام ربما سينجح إلى حد ما، إلا أن كل الاحتمالات مفتوحة بالنهاية. كما استبعد أي تصعيدات أخرى من جانب النظام كالقصف أو البراميل وغيرها فروسيا ستمنعه لأنها لن تخسر ورقة الأقليات بسهولة.

وحول السؤال لماذا يرتكب النظام جريمة كهذه إن كانت ستؤدي لخسارته ورقة الأقليات؟ أجاب المصفي: "الحقيقة هذا سؤال مشروع فعلاً، لكن بالنظر لخارطة غباء النظام وتعاطيه الهمجي مع جميع الملفات، وبالنظر لاحتجاجات المقربين منه في السويداء خلال الأيام الأربعة السابقة ومحاولته الفاشلة في تطويقهم بقطع الاتصالات، ومع تزايد التحشيد وارتفاع سقف المطالب من خلال استخدام العبارة المرعبة (الشعب يريد)، نجد أن النظام لا يزال يعتقد بأنه قادر على إرهاب الناس وإخضاعهم، وقد قرر هذه المرة باعتقادي قطع رأس المشكلة باغتيال البلعوس وتصفية الساحة لجماعته من فريق مشيخة العقل ودرع الوطن والدفاع الوطني".

وختم المصفي حديثه بالقول: "لكن رغم كل شيء الأكيد بأن السويداء قبل 9/4 ليست هي السويداء بعد 9/4".

الناشط المغترب سامي نوفل، إبن قرية مردك، رأى أن "الأحداث تأتي ضمن سياق تصاعدي لرفض كل ما هو قائم وموجود حاليا في سوريا، وكل ما جلبه النظام من دمار للبلد وضغوط اقتصادية واجتماعية على السويداء". وفيما بدا أنه نداء موجه لكافة السوريين المعارضين أضاف نوفل: "النظام سيتمكن من تجيير الحدث اذا استمر التعامي الإعلامي الخارجي عن حقيقة ما يحدث، وإذا بقيت المعارضة السياسية آخذة خطأ تفسيرياً لا وطنيا للحدث".

فيما استبعدت الناشطة فيروز دنون قدرة النظام على احتواء الموقف هذه المرة، مضيفة أنه "قد يحدث عنف مضاعف وافتعال فتنه وفتح الابواب امام داعش، اما اهالي الجبل فلا اعتقد أنهم سينظرون للوراء بعد اليوم".

الناشط والمعتقل السابق حمد الطويل رأى أنه "كان لا بد من قيام ابناء السويداء بتحريرها وانضمامهم الى اخوانهم السوريين بثورتهم المجيدة، إلا ان المجتمع الدولي وقف حائلاً وأخر قيامهم بذلك بهدف مساعدة بشار في تدمير سوريا والسعي لتقسيمها، وأول هذه الدول السعودية التي منعت عنا السلاح وأججت الصراع الطائفي من خلال أدواتها بالمنطقة بعض الفصائل الاسلامية وجبهة النصرة، لكن بلغ السيل الزبى بأهلها وانتفضت لتسترد كرامتها".

وفي تحليل قد يبدو غريباً أشار الطويل إلى أن النظام قد خطط لهذه المرحلة بعناية، بدليل "ان بعض الافرع الأمنية قد سلمت نفسها وهي خالية من الاسلحة تماما، ويمكن للنظام ان يسلم المحافظة لإدارة مدنية مع وجود شكلي له كما في الحسكة، وهذه بداية للتقسيم حيث سيضع الدروز في مواجهة المجتمع الدولي بحجة انهم هم من ارادوا ذلك كي يبرر لنفسه دويلته القادمة".

الناشط سامر عامر أحد أعضاء تنسيقية شهبا أجمل الأمر بقوله "أن السويداء تُظلَم حين تتم مخاطبتها ككتلة صلدة دون الأخذ بعين الإعتبار أنّها مجتمع يشبه باقي الطيف السوري، فيها الموالي والمعارض والمشغول بأزماته التي خلقتها الحرب. ربّما تكون الأزمة المعاشية الخانقة هي القاسم المشترك بين شرائح هذا المجتمع والتي بدورها أنتجت الموقف الاحتجاجي أمام مبنى المحافظة، الشعور العام لدى الأغلبية بأن السلطة استقالت من مهامها أمام احتياجات المواطن مما أدّى

إلى ارتفاع منسوب التحدّي والمواجهة". ويضيف عامر معلقاً على النقلة الأخيرة: "حادثة التفجير أنضجت جرأة المواجهة ونقلت الاحتجاج الى المستوى النوعي في التعامل مع السلطة ورموزها (تمثال.. مؤسسات أمنية... الخ). أعتقد أن السويداء الأن أمام سيناريوهات صعبة: إمّا أن يعاقبها النظام بشكل جماعي، أو أن تقع تحت سطوة الفصائل التكفيرية، أو أن يتم تفجيرها من الداخل بإذكاء نار الفتنة بين شرائح المجتمع (موالي / معارض / مشايخ كرامة / مشايخ عقل...)، أخشى أن السيناريو الثالث هو الأقرب إلّا إذا تلاقت الإرادات وارتقى الوعي الجمعي إلى مستوى التهديد، عندها فقط يمكن تلافي الدم المجّاني وتلمّس ملامح العدو المشترك".

# (فلم بالبلم)
# السوريّة التي أنقذتْ القارب بمن فيه

رامي العاشق- ألمانيا

"صورة لركّاب البلم مع (أم محمد) بعد إنقاذهم من قبل خفر السواحل اليوناني"

هوَ البحرُ مجدّدًا، حديثُ الأحياءِ الذي لا يُعرف من راكبيه سوى القليل من الموتى، يقول من نجا: « لم يكن هناك سبيلٌ للعودة، الموتُ خلفنا، وأمامنا الحياة إن اجتزنا هذا الموتِ الأزرق». وتصبح وجوهُ السوريّين في الماء طاغيةً على وجهِ السّماء، ويصبح الملحُ أكثرَ صبرًا، أجسادٌ تتكثّفُ بقوارب مطاطيّة تتّسع عادةً لعشرة أشخاص، باتت تحمل ستّين شخصًا هاربًا إلى حياةٍ أخرى، الحياةُ المنشودةُ هنا ليستْ الجنّة، بل حياةٌ طبيعيّة تحافظ على كرامة الإنسانِ وحريّته، ليصبحَ ركوب البحرِ أعظمَ الجهادِ وأطهره.

قبل ركوب البحرِ، توجّه ركّاب القارب إلى مكان (المهرِّب) الذي وضعهم في ما يشبه الإسطبل حتى يكتمل العدد، يقول أبو محمود الدوماني (اسم مستعار): «المهرّب تاجر بشر، لا يعنيه رجل أو امرأة، طفل أو عجوز، وجميع المهرّبين الذين قابلناهم كانوا من متعاطي المخدّرات أو السكارى»، هناك كانت سيّارة شاحنة لها صندوق مغلق، تستعمل لنقل القمامة والزفت، كانَ في المجموعة ثلاث نساء وأربعة أطفال، وضعوا النّساءَ في المقاعد الأماميّة والرجال في الصندوق وأغلقوا الباب عليهم، حوالي 52 رجلًا في الصندوق، كادوا أن يختنقوا، السيارة مسرعة بشكل جنوني، الرجال في الخلف بدؤوا يشمّون رائحة حريق، بدأ الضرب على السيارة من الداخل ولكن السائق السكران لم يستجب، اتّصلوا بالمهرّب الأصلي ليتّصل بالسائق ووعدهم أن يتصل به ويردّ عليهم، بدأت أصوات غريبة من محرك السيارة تُسمَع، كما أنّ غيارات السرعة لم تعد تعمل، والرائحة تزداد، فجأة وقفت السيّارة، اتصلوا بالمهرّب الذي يتحدّث العربية، قال لهم إن (الدبرياج) احترق وسيرسلون سيّارة بديلة، الرجال في الصندوق على وشك الاختناق، ولا يستطيعون التواصل مع النساء في المقدّمة، وكلّ الضرب على جدران السيّارة لم يُجدِ نفعًا، المهرّب الذي يتواصلون معه عبر الهاتف يَعدهم بأنّ أحدًا ما سيأتي ليفتح الباب لهم، ولكن أحدًا لم يأت، فجأة سمعوا صوت ضربة قوية أشبه بحادث سيّارة، في هذه الأثناء، كانَ السائق المخمور قد نزل من السيّارة مترنّحًا وأقفل أبواب السيّارة، وكان يتحدّث على الهاتف ليخبر شركاءه بالعطل، فجأة ضربته سيّارة وهربت فسقط أرضًا ثم أتت سيّارة أخرى وأخذته.

أم محمد شاهدت الحادث، والأبواب مقفلة عليهم، والرجال بالخلف قاربوا على الموت اختناقًا، انتبهت أم محمد أن قفل أحد الأبواب معطّل ومربوط بحبل، حاولت فكّه فلم تستطع، امرأة أخرى كانت تحمل قصّاصة أظافر، فتحت سكّينتها الصغيرة وأعطتها لأم محمد التي قطعت الحبل ونزلت إلى الخلف، ضربت على الصندوق وصاحت: «الشوفير هرب!» حاول أبو محمود أن يهدّئها ويرشدها كيف يمكن أن تفتح صندوق الشاحنة، الساعة الثانية فجرًا، ولا يريدون لفت أنظار الشرطة لوجودهم، فتحت الصندوق، وأنقذت قرابة الاثنين وخمسين رجًلا كادوا أن يموتوا اختناقًا، نزلوا وتفرّقوا في (أزمير).

في اليوم التالي، تجمّعوا في مكانٍ آخر، وفي نقطة انطلاقٍ أخرى تسمّى (مرمريس) قضوا ليلة في الغابةِ وقرّروا الانطلاق إلى جزيرة (تسيمي) اليونانية، كانوا قد درسوا طبيعة الجزر اليونانية مسبقًا، فهناك جزر عسكريّة تمارس العنف على اللاجئين إليها وتعتقلهم وهناك جزر مدنيّة تسهل الإجراءات فيها أكثر.

يبدأ الرجال بنفخ القارب، فيتعطّل المنفاخ، فيكملونَ نفخهُ بأفواههم لأنّ الانتظارَ ترفٌ لا يملكونه، ينضجُ (البلم) ويوضع عليه المحرّك، وتتكثّف الأجسادُ في الظلام حذرَ خفرِ السواحل، لا شيءَ يدلّهم على الضفّة الأخرى سوى البوصلة، أكثرُ من ستّينَ طالبًا للحياةِ بينهم الكثير من النساء والأطفال يتكدّسونَ هنا في هذا (البلم) الذي أصبحَ بحجم أحلامهم، إلّا أن هذه الأحلام سرعان ما تبدّدت حين اكتشف خفر السواحل التركي أمرهم، فلاحقهم، وأطلق الأعيرة الناريّة في الهواء، وصوّر قائد القارب، فخاف الأخير وأوقف القاربَ، وانتهى صمتُ الليل والبحرِ وعمّ الصراخُ وصارت النساءُ تبكي، والرجال تبكي وتكبّر، وبعضهم رفع

أطفاله عاليًا ليراهم خفر السواحل ويتوقّف عن إطلاق النّار، إنّه ذعرُ الهاربِ من الموتِ حينَ يراهُ جهرة، يرمي خفر السواحلِ حبلاً إلى قائد القاربِ ليربطه بالقاربِ ليسحبوه، ويلقوا القبض على من فيه، فيمسك به، ويبدأ بذلك، فتهمّ (أم محمد) لترمي الحبلَ وتعيد تشغيل القارب وتنطلق!

أبو يزن عروس سوريّ من درعا، خرجَ مع عروسه في البحرِ قاصدين ألمانيا، كانت أحلامهما معلّقة في هذه الرحلة، حينَ وصلَ إلى الشواطئ اليونانيّة، تنفّس الصعداء وملم بعضَ حزنه، وذاكرته التي امتلأت بصورِ الرجال الذين كانوا يبكون عندما اعترضتهم سفينة خفرَ السواحل ثمّ قال: « أم محمّد بـ 100 رجّال، والله لولاها كنّا بالسجن بتركيا هلأ، الرجال صاروا يبكوا وهيي ما انهزّتلا شعرة».

(أم محمّد) لم تقد مركبًا في حياتها، كانت مرتبكةً كثيرًا، أيّة حركة غير مدروسة قد تودي بحياة الأطفال والنّساء والرجال الذين أصبحوا في رعايتها، أحدهم يمسك بالبوصلة ويصرخ دالًا على جهة الإبحار، وخفرُ السواحل مازال يطلق النّار في الهواء، (أم محمد) المرتبكة لا تستطيع السيطرةَ على القارب، باتت تقترب من سفينة خفر السواحل دونَ أن تدرك، كادتْ أن ترتطم بها، الرجال يرفعونَ أطفالهم بأيديهم ويصرخون على خفر السواحل أن يكفّوا عن إطلاق النار، ويصيحون : «أطفال.. أطفال»، سيّدتان بدأتا بالإقياء بشكل جنوني لأنهما كانتا تحملان في أحشائهما سوريّين جدد، خفر السواحل التركي أرتبكَ أيضًا، فالقارب يمكن أن يرتطم بالسفينة في أية لحظة، وقد يتسببون في مقتل كلّ من عليه، و(أم محمّد) مازالت مصرّة على عبور البحر ولا تريدُ أن تتوقّف، القاربُ يقتربُ من السفينة والسفينةُ تهربُ منه، حتّى استطاعت (أم محمد) السيطرة على القارب والابتعاد عن السفينة باتجاه الضفّة الأخرى، وسط ذهول الركّاب وصدّمتهم، وذهول رجال خفر السواحل الذين شيّعوا القاربَ بأعينهم وظلّوا يراقبونه من بعيد بدهشة لم يعرفوها قبل، من هذه المرأة؟ وماذا رأت كي تغامر هذه المغامرة وتملك هذه الشجاعة غير المألوفة!

عندما وصل الناجون إلى الجزيرة اليونانيّة، قاموا بالغناء والرقص والاحتفال بعراضة شاميّة كبيرة تهتف لأم محمد التي أنقذتهم مرّتين، مرّة من الاختناق، ومرّة من الاعتقال أو الغرق، تقول أم محمّد: «لم أكن في وعيي مطلقًا، وربّما لو عاد الزمن لما فعلتها، الأطفال كانوا السبب ربّما» شهد الطفلة الحمصيّة من مدينة القصير التي لم تتجاوز الخامسة عشر من عمرها، ركضت إليها وقبّلتها، وقالت لها وهي تبكي: «هذه محاولتي الخامسة، ثلاث مرّات غرقتُ وأنقذوني، ومرّة أمسكني رجال الشرطة وهذه الأخيرة، نجوت فيها بفضلك!».

في هذه الأثناء، لم يكن هناك وقت للكلام، تركوا للبكاء فرصته ليقول كلمته.

# في حياة السوريين وموتهم

ماهر مسعود

من المعروف أن غريزة البقاء عند البشر تشتدُّ أثناء الأزمات والحروب، بحيث أن فقدان الأمان والشعور بالتهديد الذي تخلقه الحرب، يدفع الناس إلى التعلق أكثر بأهداب الحياة، كردة فعل طبيعية وغريزية نابذة للموت المترقّب، والمُحلِّق في فضاءات المكان والمخيلة.

لكن هذا الوضع "الطبيعي" في علاقة الإنسان بالحياة والموت، لم يعد يبدو طبيعياً إن نظرنا وتمعّنا في علاقة السوريين بالموت، ورأينا "قصة موتهم المُعلَن" في سوريا وباقي أنحاء العالم. بل إن علاقة السوريين مع الموت؛ وبالتالي مع الحياة، باتت تشكل، من وجهة نظرنا، ظاهرة تستحقّ التوقف مطولاً، باعتبارها ظاهرةً فريدةً وشاذّةً عن الطبيعي، وخارج النسق المُفكَّر فيه بشرياً حتى اليوم.

ربما تقاسم السوريون حالات الهرب والهجرة واللجوء مع شعوب كثيرة أخرى سبقتهم، شعوبٍ عاشت ما عاشوه من قسوة الحرب وويلاتها وظلمها، لكن الفارق الذي نراه جديراً بالملاحظة، هو أن المغامرات الخطرة والمجازفات المجنونة التي يضع السوريون أنفسهم بها، والتي أودت بحياة الآلاف منهم، لا تنمُّ عن رغبة بالحياة تدفع أصحابها لاجتياز المخاطر بحثاً عن حياة كريمة، بقدر ما تشير إلى استسهال صارخ بقيمتها، ورفض قهري لشروطها وأقدارها. هو استسهال ناتج عن اليأس وفقدان المعنى، وناتج عن شعور السوريين أنهم وحيدون في وحشتهم، مثلما كانوا وحيدين في ثورتهم، ووحيدين في مأساتهم، ومخذولين في عالم "معاصر" ومتفرج، عالم يتلذذ بسادية ممزوجة بالشفقة على موتهم العاري، وعريهم أمام الموت.

تبدو مجازفات السوريين أقرب للنزوع الانتحاري الجمعي الناتج عن الخذلان المديد، وأشبه بمقامرة الهارب إلى الموت وليس الهارب من الموت، بعد أن تضاءلت الفوارق بين الحياة والموت عندهم. فهم يخاطرون بكل ما لديهم، يخاطرون بأطفالهم في البحر وفي الغابات، يمضون أشبه بالكائنات المُحمَّلة حتى الرأس شعوراً بالذنب والحصر والتعب من البشرية ومن وجودهم فيها، ذنب تجاه من تركوهم خلفهم، وذنب تجاه من ماتوا، وذنب تجاه أطفالهم، وذنب تجاه الدول والمجتمعات التي ترفضهم ويهاجرون نحوها، يشعرون بثقلهم أينما حلّوا، هم من اعتادوا أن يحملوا ثقل الآخرين.

هناك تنويعة على الموت السوري لا تكف عن توليد الدهشة، ولا يكف السوريون عن الاندهاش من خفّة موتهم ذاته، هم لا يصدقون الموت، لكنهم غير مُمتنّين للحياة أيضاً، فبعد الموت بالرصاص الطائش والصواريخ الموجهة، البراميل المتفجرة والكيماوي الخانق، وبعد الموت ذبحاً وسبياً واغتصاباً وصلباً وتقطيعاً، يموت السوريون غرقاً في البحر، يموتون اختناقاً في شاحنات الأطعمة المثلّجة، يموتون افتراساً في الغابات، يموتون قهراً وغضباً من موتهم ذاته ومن استخفافهم واحتقارهم لقاتلهم، يموتون كأن الموت مهنتهم الغابرة، أو كأنهم للموت وللتاريخ تجربة عابرة.

ليس أسوأ من المصائب، سوى قسوة انعدام التعاطف ولا معنى التضحيات، لا بل الشعور بتحمل وزر المصيبة وبأنها مُستَحقة عقاباً على طلب الحرية، هذا ما يقوله العالم للسوريين. فالعالم يبدو متعاطفاً مع القاتل لا مع الضحية، لا بل هو يعمم القتلة ويساوي بينهم كي يدين الجميع ويرتاح، ويفصل ذاته ويُخلي مسؤوليته عن تلك المقتلة. ذلك هو انقلاب القيم الذي يجعل القيمة ذاتها عدماً، والحياة ذاتها بلا قيمة، فالسوري يُدان لأنه يُقتَل ولأنه لم يستطع قتل القاتل، يدان لأنه ثار، ولأنه هارب من الحرب والثورة، لكن حقيقة الإدانة تكمن في أنها تعويض عن العبء الأخلاقي والقانوني والحقوقي الذي يجب أن يتحمله العالم معنا وتجاهنا، لا لأننا من هذا العالم فقط، بل لأنهم لن يستطيعوا رمينا "كالطفل مع غسيله الوسخ" دون أن تبتّل أيديهم وأرواحهم مستقبلاً، فترك السوريين يتفتتون أمام موتهم وضياعهم في عالم معولم ومغرق في الصورة والمعلومة والخبر، ليس مسألة تمضي على الضمير الإنساني الكلّي كشيء عادي وبلا أهمية، والسوريون لن يفنوا نتيجة هذه الحرب، بل سيمضون في محاكمة العالم على صمته تجاه المحرقة التي تعرضوا لها وحيدين وعراة، وسيولّدون الحياة من رماد ضحاياهم، ومن تجربتهم المرّة مع الموت والصمت.

# الواقع الطبي في الغوطة الشرقية بين الحاجة الملحة وفوضى التنظيم

أبو القاسم السوري

يعتبر القطاع الطبي أحد أهم القطاعات التي ترتبط بها حياة المجتمعات في عصرنا، وربما لا توجد مهنة في العالم ارتبطت بالبعد الإنساني أكثر من المهنة الطبية، فالممرضات يوصفن بملائكة الرحمة، والأطباء بأصحاب القلوب الكبيرة.. وفي مراحل الحروب والكوارث يتحمل هذا القطاع أعباء مضاعفة، ولعل الحالة السورية خير دليل على ذلك، فالقطاع الطبي سجل نقاطاً مضيئة سيذكرها التاريخ وستبقى محفورة في ذاكرة السوريين ووجدانهم، فكم من طبيب وممرض قدموا حياتهم في سبيل مساعدة أهلهم السوريين، وكم من طبيب معتقل في سجون النظام منذ سنين وتهمته الرئيسية الصدح بالحق.

ويعتبر القطاع الطبي في الغوطة الشرقية أحد الحوامل الرئيسية للثورة في قطاعها المدني، وقد عانى هذا القطاع الويلات نتيجة الظروف التي مرت بها الغوطة الشرقية، لكن هذا القطاع شهد تخبطاً تنظيماً وشرذمة انعكست على أرض الواقع بتعدد الجهات المسؤولة عن هذا القطاع، بالإضافة إلى غياب الاستراتيجية الطبية الواضحة مما ساهم في خروج بعض الكوادر من الغوطة لتضيف عجزاً إضافياً على عمل هذا القطاع. ولذلك سنحاول هنا تسليط الضوء على بعض هذه النقاط من خلال لقاءات أجرتها طلعنا عالحرية مع عدد من العاملين في هذا القطاع ضمن الغوطة الشرقية لنتعرف منهم على واقع قطاعهم وما له وما عليه خاصة في إطاره التنظيمي والمهني.

بداية تحدثنا مع د. صخر دمشقي رئيس شعبة صحة الغوطة الشرقية في مديرية الصحة ومدير المكتب الطبي الثوري الموحد سابقاً:

**- دكتور أنت من أوائل الأطباء الذين عملوا في المجال الطبي الثوري، كيف تصف لنا المراحل التاريخية لهذه التجربة؟**

بداية الثورة دخلنا جميعا كمواطنين ضمن الحراك السلمي ومطالب الحرية، ومع سقوط أول جريح بنيران قوات النظام كان لدينا نحن كأطباء التزام بإسعاف الجرحى خاصة أن النظام كان يقتحم المشافي ويعتقل الجرحى ويصفي بعضهم، لذلك اضطررنا لمعالجتهم بنقاط ميدانية متحركة، ومع تحرر الغوطة وما رافقه من قصف ممنهج ظهرت مبادرات من أطباء وناشطين لتنظيم العمل الطبي، وفي حينها أسسنا المكتب الطبي الثوري الموحد في الغوطة لإدارة الأزمة الطبية وتنظيم العمل الطبي، بعدها بدأ يظهر الدعم الطبي وأصبح ينفذ مشاريع بشكل مباشر ووصلنا اليوم بعد ما يقارب 4 سنوات ونصف لواقعنا الحالي حيث يوجد جهات طبية فاعلة على الأرض وهناك محاولات حثيثة لتنسيق العمل بينها، وقد استطعنا أن نصل لدائرة تجمع الكل .

**- هل يمكن القول إن غالبية عملية التنظيم هي بمبادرات داخلية دون وجود جهة مركزية تقود عملية التنظيم؟**

نعم هذا ما حصل، نحن كعاملين في المجال الطبي كنا نعرف بعضنا فظهرت فكرة المكاتب الطبية الفرعية المحلية وتطورت للوصول لمكتب طبي موحد، بعدها دخلت منظومة الأطباء الأحرار ومبادرات دعم إغاثي وطبي وأنشئت مراكز خدمات، واليوم لدينا مكتب طبي موحد واتحاد الأطباء الأحرار ومديرية الصحة والسراج للتنمية والرعاية الصحية والسامز وغيرها.

**- هل تعتقد أن تنوع جهات الطبية بالغوطة أتى بنتائج جيدة أو سيئة؟**

التنوع الحالي هو نتاج الواقع وليس نتاج تصميم مسبق، والغوطة كمنطقة محاصرة تحتاج جميع هذه الجهات لأن هناك جهات تدعم منظمات مجتمع مدني وهناك جهات تدعم عن طريق الحكومة المؤقتة ووحدة تنسيق الدعم ونحن بالمحصلة على الأرض نحتاج لاستقطاب الجميع.

يوجد نقطتين تمنعان وجود جهة مركزية ترسم سياسية طبية موحدة:

1 - عفوية الثورة

2 - شح الكوادر وضعف مقومات العمل

لذلك لا يمكن العبث بما هو قائم وإنما علينا فقط تنظيمه.

**- كي لا تكون الصورة وردية أنت تعلم أنه لا يوجد دعم دون وجود أجندة سياسية، ألا تعتقد أن تعدد الدعم سيرافقه تعدد أجندات سياسية وسينعكس ذلك على العمل الطبي؟**

بالكلام عن العمل الطبي المهني فهو خارج الأجندات، ويوجد وعي طبي بذلك، ولكن بالمحصلة كل من يعملون هم بشر والجانب الطبي مثله مثل باقي القطاعات يوجد فيه هذا الأمر، وعندما نجتمع نتكلم بقضايا تقنية مهنية، ولكل رأيه الخاص بالشأن العام والسياسية، وهذه ظاهرة صحية. فإذا استطعنا تنسيق التناقضات فهذا أمر إيجابي، وأنا أخشى ما أخشاه أن يتحول العمل ضمن المؤسسات الثورية القائمة إلى عمل بحد ذاته دون البعد الثوري، وهذا لا يشمل المجال الطبي فقط.

**- أين تضع موقع شعبة الصحة على الخارطة الطبية في الغوطة؟**

ما دامت الحالة الثورية مستمرة فنحن بحاجة إلى جميع المبادرات القائمة، وبعد انتصار الثورة سنعود جميعاً إلى حالة الدولة وحينها تكون وزارة الصحة هي الجهة الوحيدة الناظمة للقطاع الصحي.

**- ما هي الخدمات التي قدمتها الشعبة؟**

شعبة الصحة استطاعت التعامل مع الجميع، ونحن سنكون داعماً للجميع، وقد قمنا بتشغيل عدد من المشاريع التخصصية المركزية، على سبيل المثال مراكز العمليات الجراحية المركزية في دوما وهو مدعوم من الشعبة والغوطة بحاجته، ومنظومة الإسعاف مدعومة أيضاً، بالإضافة إلى دعم محروقات للمراكز والنقاط الطبية التي تقدم خدمات مجانية، بالإضافة إلى مشروع مستودع مركزي، وطبعاً طموحنا أكبر مما تحقق.

**- شعرت أن شعبة الصحة أقرب إلى الجهة الداعمة، هل هذا صحيح؟**

نحن نتعامل على أساس المحافظة على ما هو قائم ومساندته، وفي وضعنا الحالي لا يمكن لجهة سلطوية مركزية تلبية حاجيات الغوطة في ظل الحصار، ربما في الشمال السوري تستطيع مديريات الصحة أن تأخذ دوراً أكبر بسبب العوامل الجغرافية هناك والحدود المفتوحة.

**- عندما لا يتلقى أحد المواطنين العناية المطلوبة من أحد المراكز هل يستطيع أن يلجأ لجهة معينة للشكوى؟**

المواطنون على مشاربهم المختلفة يلجؤون لجهات مختلفة في هذا الأمر، منهم من يلجأ للقضاء أو للشعبة أو للمكتب الطبي الموحد. نحن ما زلنا في طور تنظيم الإدارة المدنية لم نستكملها بعد.

**- في حال حدوث خطأ طبي، مع علمنا أن نسبة لا يستهان بها من القطاع الطبي هم غير**

الدكتور صخر في غرفة العمليات

**متخصصين، هل يوجد جهة رقابية على ذلك؟**

المرجعية في ذلك هي للقضاء، والقضاء يستأنس برأي طبي تخصصي، نحن لا نستطيع الاستغناء عن الكوادر الحالية حتى لو كانوا غير تخصصين، قبل أيام كنا بمعهد المعالي وهو معهد يرعاه الأطباء الأحرار وستتخرج أول دفعة باختصاص التمريض.

**- هل يوجد إحصائية في شعبة الصحة عن عدد الأطباء التخصصين بالغوطة، وما هو معدل السكان لكل طبيب؟**

عدد الكوادر المتوفرة أقل بكثير من المعايير الطبيعية في أي مجتمع. وهناك نقص في الكوادر المتخصصة، ويوجد حالة عجز في بعض التخصصات المهمة كالجراحة العصبية ولا أحد يملك حلاً لذلك.

**- لماذا لا يتم العمل على استقدام أطباء من الشمال السوري؟**

هذا السؤال أساسه أخلاقي، يوجد كثيرين من أبناء الغوطة ضمن القطاع الطبي هم خارج الغوطة، ونسبة كبيرة في دمشق، وعندما يأخذ الطبيب قراراً بالعمل في المناطق الثائرة فهو قرار شخصي، ولا أعتقد أنه بعد هذه المدة هناك من لم يحسم قراره في مكان العمل الذي يريده.

وفي حديث مع أحد الأطباء في الغوطة والذي فضل عدم ذكر اسمه تطرقنا لموضوع الرواتب:

العديد من المواطنين في الشارع يقولون بأن المجال الطبي في الغوطة هو عبارة عن سوق عمل برواتب عالية ما رأيك في هذا الأمر؟

هذا الكلام فيه جانب كبير من الصحة، بداية العمل كان الدافع تطوعي وثوري ولكن بعد تدفق أموال الداعمين وظروف الحصار أصبح ذلك حافزاً لكثيرين للعمل ضمن القطاع الطبي الثوري، وأصبح الأطباء من العينة التي تتقاضى رواتب جيدة ومقبولة ضمن المجتمع المحاصر.

**- دكتور أنت تتكلم عن رواتب مقبولة ولكن هناك معلومات بأن رواتب بعض الأطباء قد تصل إلى آلاف الدولارات شهرياً، فهل هكذا رواتب تعتبر مقبولة ضمن الغوطة؟**

بعض هذا الكلام صحيح وأنا واحد من الأطباء الذين يمتعضون من هذه الظاهرة، ولكن في النهاية الأطباء هم بشر، فمثلما تجد شخصاً قنوعاً تجد شخصاً طماعاً، ولنكن صريحين بعض الجهات الداعمة أغدقت بدعمها على الأطباء برواتب عالية.

**- هل يمكن أن تعطيني لمحة عن هذه الرواتب؟**

لا يمكن أن أعطيك أرقاماً.. كل جهة لها طريقتها، ولكن تصل بعض الرواتب الشهرية إلى ألفي دولار أو ربما أكثر، وأنا أتمنى أن يكون هناك تعرفة عادلة وموحدة لجميع الأطباء وفق ساعات العمل.

**- الموضوع المستغرب أن هذه الرواتب العالية فقط هي مخصصة للأطباء حصراً بينما باقي الكادر الطبي لا تتجاوز رواتبهم 100 دولار شهرياً فما تعليقك على ذلك؟**

هذه مفارقة كبيرة لا يمكن القبول بها، هناك تفاوت كبير في الأجور ما بين الأطباء أنفسهم حسب جهة الدعم، وتفاوت كبير بين طبقة الأطباء وطبقة التمريض.

**- ما هو سبب هذا الفرق الكبير في الأجور؟**

السبب من جهة الأطراف الداعمة ومن جهة يمكن اعتبارها سلوكيات خاطئة، وأصحاب القرار حقيقة هم الأطباء بمؤسساتهم المختلفة، والحل هو وجود تعرفة تشمل الجميع وتكون موحدة.

**- سمعنا عن موضوع استنزاف الكادر الطبي في الغوطة وخروج العديد من كوادره لخارج الغوطة هل هذا الأمر صحيح؟**

هذا صحيح، بعض الكوادر خرجت نهائياً من الغوطة والبعض بدأ يلجأ إلى المناطق المهادنة المجاورة حيث الوضع المعاشي أفضل، وهو أمر قد يؤدي إلى الشلل التام للقطاع الطبي.

**- أليس غريباً أنه طالما الرواتب عالية جدا فلماذا يخرج الأطباء إلى خارج الغوطة؟**

قد يكون التعب والإرهاق منذ 4 سنوات أحد الأسباب، أو قد يكون الشعور بعدم الأمن سبباً آخر، بالإضافة إلى الظروف الإنسانية لبعض الأطباء وخاصة لبعدهم عن عائلاتهم مدة طويلة جدا.

**- ألا تعتقد أن الجهات الداعمة ساهمت بتدمير الروح التطوعية في القطاع الطبي؟**

نعم لعبت دوراً سلبياً جداً؛ أيام الفقر والعوز كان الجميع موحدين وعندما دخل الدعم تفرقنا وأتمنى أن نعود إلى الوضع الماضي.

وبالعودة لموضوع الممرضين والظلم الذي يلحق بهم التقينا زينب الممرضة العاملة في أحد المراكز الطبية لتقول:

"شو بدي احكي لأحكي.. لدينا في المركز أكثر من شخص لا يعمل وراتبه أكثر من الذي يعمل! والسبب في ذلك قربه من مدير المركز. لا يوجد عدل بالرواتب وخاصة العاملات والممرضات وهناك إهانات أحيانا في العمل. الدوام اليومي أكثر من 8 ساعات والراتب لا يتجاوز 100 دولار بينما الدكتور نسمع أنه يصل إلى 1000 دولار. مساعد الجراح لا يتقاضى إلا جزءاً بسيطاً مقارنة بالطبيب رغم أنه هو الذي ينجز أغلب العمل.

عندما يكون هناك مندوبون من الجهات الداعمة ترى إدارة المركز تقوم بتقديم الخدمات للمرضى على أعلى مستوى بينما في باقي الأيام قد يغيب العديد من الخدمات.

بعض الأطباء يذهبون برحلات استجمام إلى المناطق المهادنة بينما يكون هناك حاجة ملحة له ضمن الغوطة!".

لعل الكثير يجب أن يقال، فهناك الكثير من النقاط الإيجابية في المجال الطبي أهمها التضحيات الكبيرة للعاملين في هذا المجال واندفاعهم لخدمة المواطنين المحاصرين في الغوطة، وخاصة أن ظروف الحرب المدمرة والحصار قد جعلت القيام بالعمل الطبي وفق المستوى المطلوب أمراً شديد الصعوبة، ولكن ذلك لا يمنعنا من القول إن هناك عديداً من النقاط التي يمكن استشفافها من خلال المقابلات السابقة تؤشر إلى ضرورة ملحة للعمل على إصلاحها، وقد يكون المدخل الرئيسي في ذلك هو من خلال تبني استراتيجية تنظيمية واضحة لهذا القطاع وفق معايير عادلة وموحدة للجميع.

# مخيم اليرموك..
# اتفاق النظام وداعش والفصائل على حصار المخيم

عمر العبد الله

مخيم اليرموك لم يعد مقرا للتنظيمات الفلسطينية السياسية والمسلحة على حد سواء، بل صار مقراً لتنظيمات متطرفة كداعش وغيرها تسعى للسيطرة على جنوب دمشق، ومع ازدياد عدد هذه التنظيمات وازدياد حصار قوات النظام السوري للمخيم تزداد معاناة الفلسطينيين المتمسكين بالبقاء داخل المخيم.

يقول نضال وهو عامل في مطعم في مخيم اليرموك ويبلغ من العمر 21 عاما: " لم أكن اتخيل يوما أن أعيش في حصار، كنا نسمع دائما عن حصار بيروت وحرب المخيمات، لكن أن أعيش الأمر فهو شيء مختلف، نعاني هنا من انعدام كل شيء، لا طعام ولا شراب ولا أدوية". ويضيف نضال أن الحياة في مخيم اليرموك أصبحت أشبه بالموت البطيء " ننتظر الموت، جوعاً أو ذبحاً أو ببراميل النظام، لم تعد طريقة الموت مهمة بالنسبة لسكان المخيم، فالموت قادم قادم، لا يمكننا منعه، كل الطرق هنا تؤدي إلى الموت، إن لم تحاول الحصول على الطعام ستموت جوعاً، وإن حاولت الاقتراب من أطراف المخيم لتحصل على بعض العشب للطعام ستموت برصاصة قناص، وإن حاول فصيل ما أن يدخل إلى اليرموك ستبدأ حملات البراميل والصواريخ، لذلك ننتظر الموت هنا، لن نغادر حتى نموت أيضا في مكان آخر".

من جانبها تقول أم أحمد 28 عاما، وهي شقيقة نضال وتعيش معه في ذات المنزل :" قدرنا كفلسطينيين أن نعاني من النزوح والموت بشكل دائم، لا أدري لماذا يلاحقنا الموت في كل مكان، الجميع يريد قتلنا، كثير من الفلسطينيين كان يعتقد أن نظام الأسد يدافع عن الفلسطينيين، وأنا منهم حقيقة، لكن انظر إلى النتيجة، حصار كامل على المخيم، حتى الحصول على بعض العشب أصبح ممنوعاً بالنسبة لنا؛ من طرف منطقة حجيرة جنوباً هناك بعض العشب لكن هناك قناصين عملهم منعنا من الوصول إلى ذلك العشب، داعش من طرف آخر، إن حاولت الهروب خارج المخيم سيقطعون رأسك، لأنك تهرب من الجهاد حسب زعمهم.. هل الموت جوعاً جهاد؟". تقول أم أحمد إن عدد عناصر داعش في المخيم ليس كبيرا لكنهم يسيطرون على مناطق رئيسية في المخيم وعلى بعض المخارج منه، لذلك فإن أي محاولة للفرار ستنتهي بالموت " ليس عناصر داعش وحدهم من يمنعون المغادرة، قوات حركة فتح الانتفاضة التابعة للنظام السوري وجماعة أحمد جبريل (الجبهة الشعبية – القيادة العامة) أسوأ من داعش، لا يمكنك حتى الاقتراب من مناطق سيطرتهم، ستقتل مباشرة".

لم تستطع الأمم المتحدة ولا وكالة غوث اللاجئين (أونروا) من إدخال مساعدات إنسانية للمخيم المحاصر منذ ما يقارب العام، دخلت المساعدات مرة أو مرتين حسب قول حازم لكنها لم تكن تكفي أحداً، يقول حازم وهو طالب جامعي في الـ 20 منتسب لحركة الجهاد الإسلامي: "كل ما تحصل عليه في المخيم هو الجوع والإهانة والموت، لا الأمم المتحدة ولا الوكالة ولا السلطة استطاعت أن تفعل شيئا لنا، ماذا قدم لنا محمود عباس؟ لماذا لم يحاول أن يفاوض صديقه الأسد بخصوص المخيم؟ ألسنا فلسطينيين كباقي الفلسطينيين؟؟ لماذا يتم تجاهلنا بالكامل؟ هذه المرة الأولى في حياتي التي أفضل فيها "إسرائيل"، "إسرائيل" تفرض حصاراً على غزة لكنها لا تمنع دخول الطعام والشراب والدواء، لا تمنع حتى دخول مواد البناء، الأسرى لدى "إسرائيل" يخرجون بصحة جيدة وعزيمة عالية لكن السجين في سوريا ربما لا يخرج من السجن".

يضيف حازم أن الأمراض التي انتشرت في المخيم انقرضت من العالم منذ سنوات طويلة : " كوليرا وملاريا، هل نحن في إفريقيا؟! والأسوأ هو الطاعون، في أي قرن نعيش حتى نصاب بالطاعون؟! لا أدري كيف سينتهي حال هذا المخيم، لكني أصبحت متيقناً أننا لن نخرج منه أحياء، مخيم اليرموك الذي كان يضج بالحياة أصبح مرتعاً للموت المتنقل، أمي دائما تقول إن الموت لم يمل منا بعد ويبدو أنها على حق".

لم يعد سكان اليرموك قادرين على التحمل، فالأمراض التي انتشرت في المخيم والمجاعة التي تسيطر على سكان المخيم بلغت درجات غير إنسانية، يقول الدكتور عامر 42 عاما، وهو طبيب في مشفى حلاوة في المخيم : " لم أر في حياتي شيئاً كهذا، لا أعلم كيف يمكن لإنسان أن يتناول يومياً بضع رشات من الفلفل الأسود كطعام ليوم كامل، سكان المخيم اليوم هم عبارة عن أشباح لا أكثر، لو نظرت الى أجسامهم ووجوههم سترى الموت يسكن فيها ولا يغادرها، سواء الأطفال أو البالغين، يوم أمس زارتني سيدة مع رضيع مصاب بألم شديد في البطن لأنها أرضعته ملح وفلفل أسود مع ماء وليس حليب! الحليب مادة نادرة جداً، المخيم يموت بكل أشكال الموت البطيء والسريع، والأحياء المجاورة المؤيدة للنظام تمتلك كل ما تحتاجه، لكن النظام والتنظيمات المتطرفة والفصائل المؤيدة للنظام والسلطة الفلسطينية اتفقت على حصار المخيم، اتفقت على موت الفلسطينيين جوعاً وعطشاً ورعباً وذبحاً حتى في دول الشتات، حتى لو أردنا الفرار فلا مكان نهرب إليه، هذه هي حالنا: الموت من كل الجهات".

لم يعد شارعا لوبية والثلاثين في مخيم اليرموك شارعا الحياة التي لا تنتهي، فالشارعان اللذان اعتاد السكان صخبهما وضجيج أسواقهما، أصبحا اليوم عبارة عن ركام ودمار وجوع، لم تعد سينما النجوم في مخيم اليرموك صالة لحضور الأفلام، بل صارت رعباً ورؤوساً مقطوعة!

# العرب والكرد مصير مشترك

دحام السطام

رغم أنّ الأغلبية الكردية تتقن اللغة العربية، فثمّة شريحة واسعة من العرب القاطنين في المناطق الكردية، يتحدثون اللغة الكردية بطلاقة بفعل التجاور والتزاوج والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

ولعل حال التوجس والتباعد التي سادت بين الطرفين، إن كانت سياسياً أو ثقافياً لعقود بُعيْد استقلال سوريا، هي نتاج فرض نموذج الدولة المركزية القامعة للتعدد والرافضة الاقرار بالوجود التاريخي الجغرافي للكرد، وخاصةً بعد مجيء الأنظمة العسكرية القومية إلى الحكم، وبالتالي قامت هذه الأنظمة باغتصاب السلطة ومقدرات البلاد،

وأكدت الرؤى العنصرية حيال الكرد، وسرعان ما ألبست لبوساً ثقافوياً، وأخذت تطبق سياسات امحاء وتشويه ثقافيّين بحق الشعب الكردي عبر حظر لغته وثقافته وتسفيههما. فالشرخ الحاصل على مختلف الصعد في العلاقة العربية - الكردية بفعل الممارسات البعثية القومية حيال الشعب الكردي، تعريباً، وتبعيثاً، وصهراً قومياً آن الآوان لترميمه وإعادة بناء التواصل والتلاقح الثقافيين كمدخل لتكريس أرضية التعايش والتسامح والتكامل أكثر فأكثر بين العرب والكرد.

وهنا، وبعد مضي اكثر من اربع سنوات ونصف على الحراك في سورية فأن المستوى الثقافي في العلاقة العربية - الكردية بقي مهملاً وضامراً رغم ضرورته وأهميته لتمتين البنية التحتية للتشارك العربي - الكردي في سوريا المستقبل. هذا البلد الذي لم يشهد يوماً اقتتالاً عربياً كردياً بالرغم من ألاعيب الساسة والراديكاليين ومحاولاتهم البائسة.

إن تفعيل المنجزات والمشتركات الثقافية بين الشعبين يبقى الاستثمار الأمضى في تكريس تفاهمهما وتفهمها للآخر، ولا سيّما أنّ الإيغال البعثي والقوموي العروبي والتطرف والإرهاب الذي يحاول أبلسة الكرد وتصويرهم عدواً وخطراً على العرب انعكس، للأسف، حتى على الوسط الثقافي العربي في سوريا وخارجها، كما انعكس بدوره، وإلى حدّ كبير، على البنى القاعدية الشعبية التي تأثرت بطبيعة الحال بالخطاب الثقافي والسياسي السائد المعادي لكل ما هو كردي (أنظر الموقف الثقافي وحتى الشعبي العربي العام خارج سوريا من مجزرة كوباني _عين عرب مثلاً)

وبناءً عليه فإنّ الشروع في تكريس مناخات انفتاح وتبادل ثقافية صحية بين العرب والكرد في سوريا خاصة، وتالياً في المحيط العربي ككلّ بات مهمة عاجلة لا تحتمل التسويف. لذا عملت وشرعت بعض منظمات العمل المدني التي عملت في بناء السلام والتشاركية والعيش المشترك في محاولة ترميم هذه العلاقات، لكنها مع الأسف لم تلق صدى إيجابياً تفاعلياً كبيراً، وذلك للتراكمات الكبيرة من الظلم والاضطهاد، ناهيك عن طفو على السطح للتنظيمات المتطرفة الارهابية والخطاب القومي العدمي. وعملت ايضا القوى العسكرية على تعميق التصدعات في المجتمع السوري خلال الأربع سنوات الماضية. لذا أجبرت الناس على أدلجة الهوية فصاروا عدوانيين بالفطرة.

إن إيجاد رؤية استراتيجية لتوطيد التعايش والتكامل بين العرب والكرد تدخل من بوابة الثقافة نحو بناء دولة تشاركية ـــ دولة المواطنة والقانون، فبعد عقود من الاضطهاد والصهر القومي المتبعة بحق الكرد تبدو المهمة ثقيلة وصعبة على المثقفين السوريين في استقطاب الثقافات الوطنية المتعددة وخصوصاً الكردية، وإعادتها إلى دائرة التفاعل مع الثقافة الوطنية السورية العامة لتؤدي دورها للنهوض بسوريا.

ومن المعروف أنّ الثقافة الكردية هي التي سهّلت التواصل والالتقاء بين حاملي الثقافتين الكردية والعربية، وهنا تظهر أهمية دور المؤسسات والنخب الثقافية والإعلامية العربية في تسليط الضوء على هذه الحقيقة وأداء دورها المفترض لكسر الحاجز النفسي، الذي أوجده الإستبداد بممارساته، وابتلع طعمه المجتمع والناس، هذه الممارسات خلقت في العقلية الجمعية الكردية توجساً، كي لا نقول قطيعة، من كل ما هو عربي وخلقت في المقابل في العقلية الجمعية العربية توجساً واضطراباً، ما أبعد الثقافة الكردية عن نظيرتها العربية، وقلّص دورها وحضورها التفاعلي.

الحقيقة أن الثقافة الكردية قائمة على التسامح وعدم التعصب والبعد عن روحية الانتقام والنزعات الثأرية، مما مثّل علامات بارزة في العقل الثقافي الكردي، فضلاً عن تمثل قيم العيش المشترك وقبول الآخر وتفهمه، أيضاً الثقافة العربية في سورية هي ليست عنصرية شوفينية ولا يوجد بها غلو، ولكن كون الثقافة الكردية نابعة من الشعب وللشعب، ولأنّها حرّة الانطلاق وبدون قيود، ولكونها ثقافة معبّرة عن شعب مضطهد وصاحب قضية تحرّرية عادلة جعل المختصين يقومون بتصنيفها وتسميتها كثقافة شعبية منفتحة لا متقوقعة. هي ثقافة منفتحة على الثقافات الأخرى وفي مقدمها الثقافة العربية. وفي مجال الشعر، مثلاً، تتضح الصورة أكثر لجهة التقارب والتناغم بين الثقافتين، فالعديد من الشعراء والمبدعين الكرد معروفون لدى القارئ العربي بفعل تقارب المواضيع والعوالم الشعرية، الناجم عن عوامل التجاور والتمازج الاجتماعي والثقافي والروحي.

وإذا ما كانت السياسة تفرق، فإن الثقافة يمكنها أن توحد وأن ترمم ما تفسده الأولى، وخاصة إذا ما أديرت دفتها بتبصر ورحابة أفق. فهي بنظر غالبية المثقفين العرب ما زالت تمثل الرهان الأخير للحلم في الوحدة الوطنية الطوعية المعبّرة عن التعدد والتنوع في مجتمعاتنا، قومياً ودينياً ومذهبياً وثقافياً، بعيداً عن الشعارات والمشاريع السياسية المؤدلجة الزائفة. وخاصةً أنّ الكرد يتميزون بقدر عال من الحصانة الذاتية والمحافظة على الخصائص والثوابت القومية واللغوية والثقافية بعد قرون طويلة من التعايش والتمازج الاجتماعي والديني مع العرب.

أن ما يلزمنا اليوم نحن العرب والكرد السوريين، هو العمل معاً لإعادة انتاج ذواتنا من جديد والوقوف عند هذه الذوات، وبالتالي لأن نحمل معاً مشروعاً ثقافياً هو الحامل لما هو فكري قادم، نلتقي معاً لقاء الثقافات الوطنية.. نفتح الباب لكل الثقافات السورية المتنوعة والمتمازجة للتعارف والحوار، نسميه لقاء وحوار الثقافات الوطنية.

لنطلق نحن السوريين هذا المشروع ولنبدأ به من الجزيرة وليحمله العرب والكرد ويكون نموذجاً يحتذى به لسوريا وللمنطقة.

# عودة الروح

فادي محمد

منذ اللحظات الأولى للثورة السورية، أدرك النظام جيدا ما الواجب استهدافه في هذا الحراك الشعبي، أدرك نقطة القوة ليست فقط التي تحرك الناس بل هي الأساس المتين في ازاحته، نقطة القوة التي هي استقبال الجموع الشعبية للحظة التاريخية الفاصلة والعظيمة، استقبالهم لها بالروح الواجب أن تكون في لحظات التغيير التاريخية، الروح المشبعة بأفكار الحق ومقولة الحق، بالمساواة الحقوقية، بالإيمان بأن الانسان – الفرد كائن حر، ووعي أن حريته مطلب مقدس، بالتلازم مع عدم التفريط بوحدة المجتمع وضرورة بناء الدولة المدنية الديمقراطية، دولة الحق والقانون.

هذا الموقف الروحي المتقدم عند نقطة تلاقي الظروف هو الوحيد والوحيد فقط القادر على تحقيق أهداف الثورة بتكنيس نظام النهب (النهب المشروط عند هذا النظام بتدمير المجتمع والقيم والانسان عبر الشكل الأقبح للدولة – الدولة الأمنية)، هذه الروح هي الوحيدة القادرة على الانتقال بالبلاد من حال الى حال، من الاستبداد الى طريق الحرية.

لم تساعد الظروف أبدا في تجذير هذه الروح وجعلها صلبة متماسكة أمام آلة العنف الرهيبة التي ووجه فيها الناس في انتفاضتهم، بالإضافة أن جذرها المعرفي بعيد زمنيا قد يرجع الى أيام أسئلة النهضة العربية (الأفغاني، الكواكبي، محمد عبده، رشيد رضا، قاسم أمين) وتتمته في المرحلة الليبرالية القصيرة وصولا الى أخلاقيات وأحلام حركة التحرر الوطنية. وانقطاع هذا الخط باستلام الطغمة البعثية العسكرية مقاليد السلطة وتدشين الخط النازل الانحطاطي عبر لفلفة أسئلة المراحل السابقة واستبدالها بكاريكاتير كذبة النموذج الستاليني، بالرغم من هذا الأثر الخفيف للزمن البعيد، فان الروح المتميزة في اللحظات الأولى من الثورة استلهمت من شعور الناس أن يتعرفوا على أنفسهم بالضدية مع النظام أو سوداوية النظام، نظام طائفي، أعلنوا وحدة المجتمع، نظام استبدادي، رفعوا راية الحرية، نظام أمني عسكري، هتفوا بالسلمية شعارا وسلوكا، نظام فاسد، نادوا بالأخلاق: الشباب الثائر في حمص تعاهدوا وظهر عهدهم على الشاشات "لن نرشي بعد الآن موظفا" على الرغم من أن الرشوة باتت تقليدا معمما في مؤسسات الدولة، ردا على استخدام النظام للشيخ رمضان البوطي باستثمار ايديولوجيا اسلامية محافظة، هتف أهل الرستن وراء نجاتي طيارة "الدين لله والوطن للجميع".

بالمجمل كان الجذر الرئيسي للروح السورية يتحدد بالضدية مع خمسين عاما من الظلامية، تفاصيل "الظلامية" يعرفها السوريون، لذلك كانوا قادرين على مواجهتها بتفاصيل ضدية "نورانية" شكلت الروح الواجب للتغيير.

النظام الذي أدرك أن معركته الكبرى هي مع هذه الروح المرعبة والمهددة لوجوده كانت استراتيجيته وتكتيكه في كل الأيام التي تلت أن ينتكس بها محاولا جعلها مثيلته، اعادة انتاجها بما يشبه قبحه وظلاميته. وبدون موارية أو نظرة رغبوية أو مجاملات أو رش السكر على الواقع فإن ما آلت اليه الأمور تكشف عن نجاحات لا يستهان بها للنظام (جر الناس للتسلح، تفشي الخطاب الطائفي، الأيديولوجيا السائدة باتت ايديولوجيا سلفية، انتهاكات تقوم بها فصائل تتبنى الايديولوجيا المذكورة، المحاكم الشرعية بدلا من القضاء المدني، القتل والخطف والنهب على الهوية، الاستغناء عن هوية وطنية واستبدالها بهويات دينية، الأعلام السوداء بدلا من علم الثورة، تغول العسكريين على المدنيين...الخ).

ليست هذه النجاحات للنظام فقط (فهلوة) منه، بل لأن روحاً تشكلت برد الفعل أقل تماسكا من الروح ذات الجذر المعرفي، كان يمكن لرد الفعل الأخلاقي والعظيم أن ينجح لو أن المواجهة مع الثورة كانت أقل قسوة، وبالمقابل وبالاستعانة بالتاريخ، يمكن القول أنه كان يمكن لروح لها جذر معرفي متين أن تصمد أمام كل هذه القسوة ( كل الثورات البرجوازية المنتصرة ابتداء بهولندا ومرورا بانكلترا وأمريكا حتى الثورة الفرنسية كانت الايديولوجيا السائدة هي البروتستانتية – وأغلبها الكالفينية – أي أن الاصلاح الديني منجزا – هذا جذر متين لموقف روحي انتصر وأنتج طريقا لنمو الحرية).

لكن.. هل عودة الروح ممكنة؟.. استعانة بالتاريخ هي أكثر من ممكنة، وذلك بوعينا أن لا طريق للحرية الا بها. ان من يعتقد أن طريق الحرية يمر من سيد قطب وعبد الله عزام وأيمن الظواهري.. وأساسهم ابن تيمية والطليعة الاسلامية المقاتلة واتهام الناس والأمم بالجاهلية، لهو واهم، ذلك الخط على الضد، طريق الحرية يبدأ من تجذير معرفي لروح الحق بالآية العظيمة {فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}، حقي في أن أكفر، وحقك في أن تؤمن، هذه ثقافة موجودة مسبقاً.. اظهارها للفعل يحتاج لإرادتنا، وعودة الروح امكان قائم بحاجة أولاً للإرادة.

# اللجوء من الوطن

شوكت غرز الدين

يختلف اللجوءُ من الوطنِ عن اللجوءِ إليه. وكذلك يختلف واقع الوطن عن تصوراتِنا عنه. ويطرح هذا الاختلاف مفارقة صادمة للوعي العامّ، تتمثّل سوريّاً في العلاقة المقلوبة التي صارت بين اللجوء وبين الوطن، وبين واقع الوطن وبين تصوراتنا عنه. فبدل أنْ نلجأ إلى الوطن صرنا نلجأ منه. وبدل أنْ تكون علاقتنا بالوطن علاقة احتواء، كالرحم الذي يحتوينا، بات الوطن علاقة فاعلية.

كان اللجوء إلى الوطن أمراً مألوفاً لأننا نسكن إليه حتى لو لم نكنْ نسكن فيه، أما اللجوء من الوطن فيخالف تعاليمنا الثقافية والحضارية التي تصّور الوطن جنّة ورحماً. فلماذا نلجأ من الجنّة والرحم؟! لأنَّ الوطن تحوّل جحيماً ببساطة ولم يكن يوماً جنّةً أو رحماً. ورغم تصور الوطن كجنّة ورحم واعتباره أغلى شيء عند البشر، إلا أن البشر ترحل عنه وتغادره وتلجأ منه. وهنا تكمن مفارقة اللجوء من الوطن؛ إنها بين واقع الوطن وبين تصوراتنا عنه. وقد أوهمتنا تصوراتنا أنَّ الله ضامن لحياتنا ووطننا ومستقبلنا! كما توهم "ديكارت" يوماً أنَّ الله ضامن لعملية شكّه المنهجي!

فلطالما ارتبطت مفردتا اللجوء والوطن بعلاقة تناقض فيما بينهما؛ بحيث إذا حضرت إحداهما غابت الأخرى. واستقرّ هذا الارتباط إيجابياً في وعي عامّة البشر؛ لأنه ثمة علاقات قرابة وجوار وتشابه على الصعيد النفسيّ بين مفهوم الوطن وبين مفهوميّ الجنَة والرحم. وذلك لما يُفترض أن تحققه مثل هذه المفاهيم، في اللاشعورين "المعرفيّ والجمعيّ"، من سكينةٍ وملاذٍ آمنٍ للإنسان.

فمن المفترض أنْ يلجأ الإنسان إلى وطنه لا أنْ يلجأ منه! وأنْ يحاول العودة إلى الوطن-الرحم والبقاء فيه لا أنْ يهرب منه! وأنْ يطلب الوطن-الجنَة التي غادرها مكرهاً لا أنْ يفرّ منها! ولكننا أصبحنا إزاء علاقة مقلوبة؛ فقد انعكست العلاقة بين اللجوء والوطن وتحولت لمعنى سلبيّ، فبات اللجوء من وطنّا السّوريّ، لا السكون إليه، ناظماً لعلاقتنا بالحياة وموجهاً لها. كيف لا؟! وحياتنا باتت لجوء وبات موتنا خلاص!

أصبح الوطن جحيماً يحرق أبنائه كالرحم الذي يخنق جنينه والجنّة التي رمت أصحابها. ففي وطن كالوطن السّوريّ: مجازر متعدِّدة وقتل يوميّ وموت من الجوع وتدمير وسجن وتعذيب وخطف. وفيه أيضاً انعدام سبل العيش الكريم وغير الكريم. ناهيك عن ظهور مافيات وعصابات ومؤسّسات للتجارة بقضيتنا وأحلامنا ومستقبلنا وماضينا، وجثثنا وأعضائنا وإغاثتنا ولجوئنا. في ظل غياب المسؤولية والمحاسبة والعدالة.

والسؤال الذي يطرح نفسه بشدّة هو لماذا انقلب الوطن إلى منفى؟ لأننا ارتكبنا "الخطيئة الأولى" وهي المطالبة بحريتنا! فكما أخرج الله آدم وحواء من الجنّة عقاباً لهما على "خطيئة المعرفة"، أخرجنا "الحاكم-الإله" من وطنّا لعقابنا على "خطيئة الحريّة". وإذا كانت عقوبة آدم وحواء العودة للطبيعة بالعمل والألم فإن عقوبتنا العودة لدورة الطبيعة كسماد لها ومواد عضويّة. وهكذا، تتعادل جرائمٌ ثلاث نفسياً في اقتضاء الشعور بالذنب وتصعيد حلم العودة. "جريمة المعرفة" في الجنّة و"جريمة الولادة" من الرحم و"جريمة اللجوء" من الوطن. فكل جريمة من هذه الجرائم تقتضي أنْ يشعر الإنسان بالذنب، وأنْ يكفّر عن هذا الذنب بالتصعيد النفسيّ إما من خلال العودة للجنة أو للرحم أو للوطن وكأنهم واحد، أو بناء وطن على نموذجهم.

في الجنّة، كان الإنسان مندغم بالطبيعة مثله كمثل أي شيء في الطبيعة، وعندما أكل التفاحة رمز المعرفة انفصل عن الطبيعة، وعرف نفسه متمايزاً عنها. فجاءت العقوبة على هذا التمرد بالعودة للطبيعة من خلال العمل والألم. وتعمّق في وعينا إما هاجس العودة للطبيعة-الجنّة التي غادرناها في الماضي مكرهين، ولكن بدون ألم وعمل، وإما طلب الجنّة في المستقبل لأنها تُمثّل السكينة واللذّة الأبدية. أما في الرحم، فكان الجنين هانئاً محمياً يأخذ طعامه إن لزم الأمر من نقي عظم أمه ولا يهتم إلا بالليبيدو (اللذّة)، فأتت الولادة طبيعياً وأخرجته من سكينته وملاذه وقطعت عليه لذّته، فصعّد حلم العودة إلى هذا الرحم وتصوره نموذجاً يقيم عليه وطنه.

نموذجان يقودان تصورات الوطن هما النموذج الديني في قصة الخلق التوراتية، والنموذج البيولوجي في عملية الولادة من الرحم. ويساند هذان النموذجان النموذج الجغرافي لتعميق الوعي بالوطن-المكان، ومن ثم التصعيد تجاهه بعد كثير من مشاعر الندم والشعور بالذنب على اللجوء منه.

تصوير وكالات

يسترشد وعينا الحالي بالنموذجين، وكذلك يفعل وعينا البديل. الأول يحافظ على الوطن لأنه جنّة والثاني يقلب وطنه إلى مكان أخر يعتبره جنّة. ومن هنا علينا بناء وطن حسب نماذجنا وفاعليتنا وليس حسب هذه النماذج البالية. وهنا تقع عملية تفكيك العلاقات الكامنة والسائدة وإعادة بناءها إنسانياً.

الوطن السوري ليس جنة ولا رحماً وكذلك الوطن الألماني ولا الوطن المُراد بنائه أيضاً. يجب التعلم من الجغرافيا أنَّ الأرض كرويّة وأنَّ كل نقطة في الكرة الأرضية هي كما النقاط الأخرى لا تفاضل بينهم. ويجب التصدي لمحاربة اللجوء أخلاقياً من خلال تصورات للوطن عفى عليها الزمن؛ لأنها غير مرتبطة بحقوق الإنسان وكرامته وإطلاق فاعليته. بل مرتبطة بالصبر والتأقلم والشفقة والتطنيش... وكما يرتبط اللجوء بالخوف والألم والقرف والخجل كذلك يرتبط بالتصورات الأخلاقية والجمالية. واللجوء مرهون بعدة عوامل ومنها عامل الوعي في المقام الأول. فبدون وعي تصوراتنا ووعي علاقتها بالوطن يتأبد اللجوء ويتأبد الوطن ويخرجا من التاريخانية المرتبطة بالزمان والمكان وفاعلية البشر.

علينا إذن خلخلة "اليقين" الذي يجعلنا نقبل الوطن على علاته وعلاقاته. وإظهار أنَّ هذا اليقين ليس بدهيّ ولا أبديّ، بل هو دوماً نتيجة بناء يتعين علينا معرفة قواعده وعلاقاته التي يمكن بموجبها قبول بعضها والتنبيه على البعض الآخر منها. أي بعبارة واحدة، علينا تبديد الألفة الظاهرية لارتجاجية مفهوم الوطن. ونقد تصور الوطن بوصفه جنّة أو رحماً لبناء وطن وفق معايير فاعليتنا.

# خطاب النظام وسيكولوجيا جماهيره

نوار عقل

بعد بداية الثورة بعام أخرج الإعلام السوري من أرشيفه خطابات قديمة للمجرم الخالد حافظ الاسد، كان قد تحدث فيها عن المؤامرة والإعلام وعن الممانعة والمقاومة والتصدي للأخطار المحدقة بالأمة العربية وخطر الاسلاميين المتشددين، وذلك في خضم أحداث الثمانينات. كان هذا الخطاب (عصرياً) تماماً ومتماشياً حد التطابق مع بروبغندا النظام وإعلامه في تعاطيه مع الثورة، حتى قال البعض بنبوة القائد وتوقعه المستقبل، وكأنه يتحدث عن واقعنا الراهن. الغالبية العظمى من جماهير النظام لم يخطر ببالها أبداً أن القائد لا يتحدث عن المستقبل، بل أن حاضر النظام وإعلامه كان يتحدث بنفس اللغة قبل ثلاثين عاماً مضت مما أتاح هذا التشابه الفظيع. أي أن المفارقة قائمة بالخلط بين اعتبار السبب نتيجة، والنتيجة سبب.

إنه حقاً لشيء يدعو للسخرية حتى القرف ألا تتطور أساليب المجرم التبريرية. لكن.... لحظة، لنتمهل قليلاً في إصدار مثل هذا الحكم. قال غوستاف لوبون في كتابه "سيكولوجيا الجماهير" قبل أكثر من قرن مضى، بأن الجماهير لديها عقائد ثابته مشحونة باللاهوت، وأن التفتت في الآراء يمنع استبداديتها وطغيانها، وبالتالي تميل الجماهير الى اللامبالاة بالتعدد، كما أن الجماهير لا تعقل، فهي ترفض الأفكار أو تقبلها كلاً واحداً من دون أن تتحمل نقاشها، وما يقوله لها الزعيم يغزو عقلها سريعاً فتتجه إلى تحويله حركة وعملاً، وما يوحى به للجماهير ترفعه إلى مصاف المثال، ثم تندفع به في صورة إرادية إلى التضحية بالنفس. في هذه الحالة الجماهيرية تنخفض الطاقة على التفكير ويذوب المغاير في المتجانس بينما تطغى الخصائص التي تصدر عن اللاوعي، كما أن ردود الفعل الدينية حاضرة دوماً لدى الجماهير وتفضي بها إلى عبادة الزعيم وإلى الخوف من بأسه والإذعان لمشيئته فيصبح كلامه دوغما لا تناقش، أما الذين لا يشاطرون الجماهير إعجابهم فيصبحون هم الاعداء.

إذن قد يبدو أن خطاب النظام هذا، هو الخطاب الوحيد المتاح أمامه، فهو قارٌ في الوعي الجمعي لجماهيره (الأبية)، لذلك تغدو اعادته على لسان القائد الأب باني (المجد) ترسيخاً للثوابت التي انبنت عليها سلطته وتأكيداً على عمق العملية السلطوية كتراث حاضر وتاريخ يعيد نفسه، الشيء الذي يحفز لتثبيت النظام من جديد كما حصل في الثمانينيات. فالعدو متربص بالنظام داخلياً وخارجياً وهذا ما حدا بالنظام إلى توحيد خطابه والاستمرار عليه دون أن يرف له جفن متعامياً عن كل الأحداث، منكراً كل البراميل. وهو الذي يعرف عمق الارتباط العضوي الذي صنعه مع الطائفة العلوية، ويعرف مستوى العلاقات التي حرص على ترسيمها بين البنى الاجتماعية السورية، كما أن النظام الذي قام منذ نشأته على أسر الطائفة العلوية لتتمجد بفضلاته وتتميز عن باقي الطوائف والتيارات السورية باقترابها من العائلة الحاكمة، وامتلاكها حق القوة على الآخرين بعد أن كانت مهمشة لا حول لها ولا قوة، لم يغير شيء من طبيعته في عهد الابن، الشيء الذي يضع الطائفة اليوم في مأزق تاريخي حقيقي كان من الممكن أن يكون أخف وطأة لو لم تنجرف جماهير النظام معه ضد أي فعل ثوري يسلبها حقها في سوريا الأسد، وهذا ما يبرر القول (بالعلوية السياسية) اليوم.

لا توجد الجماهير من دون قائد، والعكس صحيح أيضاً، إذ لا يوجد قائد من دون جماهير، هذا ما كان واضحاً في خطاب النظام ممثلاً برئيسه منذ بداية الثورة في مجلس الشعب، بالفصل بين جمهوره وبين باقي السوريين فلا رمادية، "إما معنا أو ضدنا" وقد أصبح أوضح وأكثر صراحة في آخر خطاب له بعد خمس سنوات، "سوريا لمن يحميها ويدافع عنها وليس لمن يحمل جواز سفرها". إن النظام ببساطة شديدة لا يخاطب السوريين بل يخاطب جمهوره الخاص. سوريا الأسد لكم فدافعوا عن سوريا الأسد لتبقى لكم. يبقى أن الشيء الأهم، والأكثر تعبيراً ووضوحاً، ليس ما تكلم به بشار الأسد وإنما ما سكت عنه ولم يقله في كل خطاباته الطويلة، وهو الذي لم يكف يوماً عن الخوض بالتفاصيل، فشعارات مناصريه التي امتلأت بها جدران دمشق على وجه الخصوص، كـــــ" الأسد أو نحرق البلد"، كانت هي التعبير الصريح والأكثر وضوحاً عن خطاب النظام منذ بداية الثورة حتى اليوم، مثلما كانت هي الأكثر تعبيراً عن سيكولوجيا جماهيره.

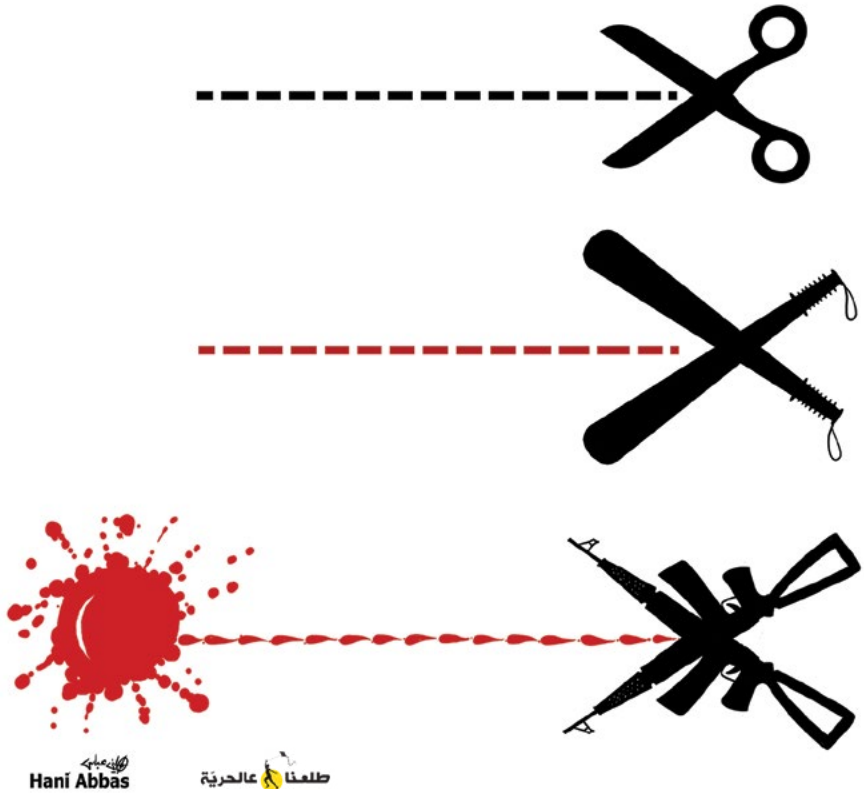

# تحويل الألم إلى فرجة

عروة مقداد

تمعنت كثيراً في صورة الطفل النائم على الشاطئ. قرأت ما استطعت من ردود الأفعال على جسده الراقد عند أمواج البحر، ربما يكون نوع من الهوس إذ قلت إنني وجدت الطفل جميل في إغفاءته الهادئة أمام دناءة العالم. جسد غض صغير متكور كصدفة شكّلها زبد البحر فغفت على شاطئه.

ورحت أفكر ماهي الوسيلة الأكثر قسوة في القتل؟ الغرق؟ الاستهداف بصاروخ؟ برميل يحيل الجلد الهشّ إلى رماد؟ الاختفاء؟ الموت تحت التعذيب؟ إلا أنه لا مفاضلة بأشكال القتل. فالقتل هو القتل. إذاً ما الذي جعل كل هؤلاء على اختلاف أماكنهم ووظائفهم وانتماءاتهم وتحليلاتهم يفزعون لصورة الطفل الصغير؟ لا شك أن الإنسان لديه رغبة في تحويل الألم إلى متعة ليتغلب فيها على الألم، إنها متعة الألم الجميل الذي يحولها إلى فرجة مستساغة أمام العجز أو عدم الرغبة بالفعل. فالجميع على اختلافهم قام بتناقل تلك الصورة وتداولها على أنها شيء من الفرجة كما يتداول فيلماً قاسياً عن الحرب العالمية أو كما يتداول فيلماً مرعباً تخرج منه مخلوقات فضائية. وهل هنالك شيء مفزع أكثر من تحول جثة طفل صغير مرمية على الشاطئ إلى أيقونة نواح متكررة؟ أليس من المفترض أن تدفع تلك الصورة آلاف من السوريين قبل الدول الغربية نحو قرار حاسم بالعودة إلى سوريا وخوض معركة شرسة لإسقاط سفّاح الأطفال؟ لكن أطفال سوريا قد قُتلوا منذ موت حمزة الخطيب الذي تحول أيضاً إلى أيقونة نواح يتداولها السوريون في المناسبات، كما ستتحول صورة هذا الطفل إلى ملصق أو شعار يُتداول أيضاً في المناسبات. وإن كان ثمة مفاضلة في الموت، فموت حمزة الخطيب أشد أثراً وترويعاً وإثارة لمشاعر الكراهية في النفس تجاه هذا النظام المجرم.

عادت بي الذاكرة وأنا أحدق بالصورة إلى قصة امرأة من جنوب سورية حاولت اللجوء مع طفلها إلى الأردن أواخر 2011. لم يكن ثمة مناطق محررة حينها، ولم تكن معارك الجيش الحر قد بدأت. ولم يكن أمام المرأة للوصول إلى الطرف الأردني سوى كرم زيتون لا تتجاوز مساحته 100 متر. كان كرم الزيتون أشبه بحقل رعب. فالجيش العربي السوري يرصد الكرم بمختلف أنواع الأسلحة يتصيد بها الهاربين من قمعه ومن سجونه. ضمت المرأة طفلها وركضت في عتمة الليل وصلت المرأة إلى الطرف الأردني دون طفلها. كان جسده الناحل الرقيق قد مزقه الرصاص ورماه ككيس على الأرض. لم يكن الأمر يحتاج إلى عبور سوريا وتركيا من الجنوب إلى الشمال، وركوب قارب ومن ثم الغرق والاستلقاء على الشاطئ... كانت المسافة بضعة أمتار فقط ليستلقي الطفل في كرم زيتون أمام عيني أمه التي راقبت تفسخ جثته كل يوم ولم تستطع الوصول إليه.

ما هو المهم في التوثيق سوى تحويل الضحايا إلى أرقام؟ ما هو المهم في روي القصص سوى أنها تجعل من الألم متعة؟! وما هو المهم من تناقل هذه الصور سوى عدم اتخاذ قرار حاسم ومصيري لدى السوريين ووحدهم السوريون من أجل إسقاط النظام الذي يدفع نحو كل أشكال الموت؟!

# هل يكون تحرير السويداء مفتاح لدخول دمشق؟

جديع دواره

يكرر النظام اليوم نفس الخطأ الذي ارتكبه ببقية المناطق، فهو يعتقد بأن الاغتيال والبطش، سيرهب الناس في السويداء ويجعلهم يهرولون طالبين حمايته.

إن السياق التي جرت به عملية الاغتيال عصر الأمس الجمعة بالمتفجرات وأدت لاستشهاد نحو 27 شخصاً معظمهم من مشايخ الكرامة وجرح نحو 48 آخرين، تؤكد بأن السويداء كانت تعيش حالة من الغليان، فالاعتصام الذي بدأ قبل أربعة أيام يتصاعد، وقطع الاتصالات، وتدخل مؤيدي النظام من مشايخ عقل وغيرهم، لم تجد نفعاً، خاصة أن الاستياء من سوء الأوضاع المعاشية والفساد أفقد النظام ما تبقى له من مؤيدين.

في موازاة ذلك فإن حركة "مشايخ الكرامة" التي بدأت بالظهور للعلن قبل نحو سنة، شكلت عبئاً كبيراً عليه، لم يعد يستطيع احتماله؛ فهم أعلنوا أن المعتصمين بحمايتهم، وسبق لزعيمهم الشيخ وحيد البلعوس أن دعا علناً إلى عدم الالتحاق بجيش النظام، بل وتمكن مع رجاله من تحرير عدد من المعتقلين وهاجم مقرّ الأمن الجوي، واعترض طريق القطع العسكرية التي حاول النظام إخراجها من المحافظة، وأعلن عن هدر دم رئيس المخابرات العسكرية في المحافظة المدعو "وفيق ناصر"، الذي بدوره حاول أكثر من مرة اغتياله.

يضاف إلى هذا تصاعد مخاوف النظام من فقدان السيطرة على السويداء إثر تقدم فصائل المعارضة في درعا وسيطرتهم على اللواء 52 قبل عدة أشهر، ومحاولتهم تحرير مطار الثعلة داخل محافظة السويداء، ومبادرة البلعوس إلى فتح قنوات اتصال مع أحرار درعا، وتمكنه من تشكيل حالة استقطاب وقوة على الأرض يحسب حسابها، وبدأت تتلقى الدعم من أبناء السويداء بالداخل والخارج.

النظام كان أيضاً أمام خيارات صعبة، فإما سيترك الأمور تتفاقم وتخرج عن سيطرته شيئاً فشيئاً، أو أنه سيحاول أن يضرب "الضربة القاضية" كما أوحت له أوهامه، وطبعاً هو استسهل ما أعتاد على فعله، وكانت بمثابة "الشعرة التي قصمت ظهر البعير".

الجبل اليوم لن يعود كما كان، وكونه لم يشهد مواجهات عسكرية تذكر، فإن التعويل عليه في تشكيل حالة من الإدراة المدنية كبير، لكن بالمقابل النظام لن يتركه وشأنه. سيحاول استعادته عن طريق الترهيب والترغيب، وإن فشلت مساعيه فهو لن يوفره من القصف والحصار، وخلق فتنة مع الجوار، أوعبر تسهيل دخول داعش إلى المحافظة، كما فعل بباقي المناطق.

إن أهمية تحرير السويداء من قبضة النظام تكمن في إسقاط ادعائه بحماية الأقليات وتأييدها له، خاصة أمام الخارج، وحتى أمام حلفائه، فسيشكل هذا إحراجاً للنظام، كما إن وجود محافظة من لون مختلف في رقعة المناطق المحررة، يفترض أن يساهم في تعديل الصورة عن طبيعة الحراك المعارض في سوريا، بأنه إسلامي تكفيري متطرف، ويعطي فرصة أفضل للقوى المعتدلة والتي تؤيد إقامة نظام مدني ديمقراطي في سوريا المستقبل، طبعاً بالإضافة إلى الجهد المطلوب لأبناء المحافظة في تقويض سلطة الاسد والدفع باتجاه إسقاطه.

إن الخيار الوحيد لأبناء الجبل اليوم للمضى في مواجهة النظام، والتخفيف من كلفة هذا الصراع، هو في مدّ الجسور مع القوى المعتدلة في درعا والقنيطرة وريف دمشق، لتشكيل جبهة مواجهة واحدة ضدّ النظام، وإن نجح هذا المسعى فإنه باعتقادي سيكون المحور القادر على دخول دمشق وتحريرها من حكم الطاغية وإسقاط النظام إلى غير رجعة.

# الثورة وفضاءاتها

باسل مطر,
مشروع سلامتك

في الأيام الماضية رصد ناشط آيسلندي يعيش في النرويج صورةً لرجلٍ سوري في لبنان يتجول في بيروت يبيع الأقلام حاملا ابنته الصغيرة على كتفه محاولاً كسب قوته. تعاطف الناشط مع الصورة ومع صاحبها، وأطلق حملةً على تويتر لجمع مبلغ خمسة آلاف دولار لمساعدته. كانت الاستجابة للحملة هائلة حيث جمع مبلغاً وصل إلى أكثر من 180 ألف دولار خلال يومين، ولفت نظر محطات التلفزة والصحف الكبرى، وساعدته إحداها في الوصول إلى صاحب الصورة، وأصبح بائع الأقلام السوري رمزاً لمعاناة السوريين في دول اللجوء والشتات، ورمزاً للقوة الهائلة لتويتر. ربما لم يكن سيتسنى لهذه الحملة أن تحظى بذات النجاح لو كانت على فيسوك بسبب اختلاف طبيعة المنصة واختلاف روادها رغم عددهم الهائل. فالحملة كانت في المكان المناسب، بين الأشخاص المناسبين، وتحمل هدفاً لا يمكن التشكيك فيه أو الحيرة تجاهه، وهو مساعدة رجل من الواضح أنه بحاجة للمساعدة مدعمة بدليل قاطع وهو صورته تلك.

يعود تاريخ استخدام الإنترنت في النشاط السياسي المعارض، وبغرض حشد الدعم وراء فكرة معينة لدفعها إلى الأمام، إلى بداية التسعينيات، حيث قام معارض من دولة الغابون الأفريقية بإنشاء موقع على الإنترنت يدعو لرحيل الدكتاتور الحاكم منذ تسع وعشرين عاما في ذلك الوقت، وبعد فترة قالت منظمة العفو الدولية بأن خمسة من مواطني تلك الدولة اعتقلوا بسبب انتسابهم إلى مجموعة إلكترونية مرتبطة بذلك الموقع، ولعل تلك الحادثة كانت أولى حالات الاعتقال على خلفية النشاط الإلكتروني. وسرعان ما تطورت التقنيات وأتى تويتر ثم فيسبوك وغيره من منصات التواصل الاجتماعي والتدوين القصير، وأصبح الفضاء الافتراضي مكاناً يعج بالناشطين والحملات لسهولة الوصول إلى الناس من خلاله، وانفرد كل من هذه المنصات بصفات وقدرات ميزته عن الآخر. أصبح تويتر مكاناً مثاليا لتلك الحملات، وتفوق على فيسبوك من حيث جدواه في تحديد جمهور الحملات، والتفاعل معها، وسهولة انتقال الفكرة، وأصبح فيسبوك قارةً جديدةً يقطنها مليارٌ ونصف المليار من المستخدمين، لكن لأغراض قد تكون مختلفة قليلا.

منذ انطلاق الثورة السورية في عام 2011، اتخذ السوريون من فضاءات شبكات التواصل الاجتماعي مساحة للتعبير والتواصل ونقل الخبر، ولعل غياب الفضاء الحقيقي للاجتماع، وإمكانية تأسيس مؤسسات إعلامية معارضة على الأرض، كان أحد الأسباب التي دفعت بهم إلى ذلك الفضاء، إلا أن سهولة استخدام تلك الفضاءات والآفاق الواسعة التي تخلقها كانت أيضاً من الأسباب التي حدت بهم لتوظيفها على هذا النحو. لم يكن السوريون أول من وظف هذا الفضاء لخدمة قضيتهم، بل سبقهم كثرٌ غيرهم، فالمصريون بدؤوا ثورتهم من خلال صفحة على فيسبوك، واستخدمه التونسيون كذلك.

وجد السوريون أنفسهم على فيسبوك بحكم قيام الناشطين الأوائل في الحراك السلمي باستخدامه، أو لأن صفحة الثورة السورية ضد بشار الأسد التي تأسست قبل الثورة بأسابيع كانت هناك، فهم في الأصل غرباءً عن تلك المنصات التي كان معظمها محجوباً في مجتمعهم الذي يعاني أشد أنواع القمع، وعلى الأرجح فهم لم يختاروا ذلك. وبعد فترة وجيزة أصبح فيسبوك مكاناً مريحاً لهم، يرون فيه ما يثلج صدرهم أو يعبر عن موقفهم، وأصبح الفضاء الفيسبوكي السوري منقسماً بعدد انقسامات قاطنيه، وارتفعت بين هذه الفضاءات الجزئية جدران عالية كتلك التي على الأرض، وإن مجازاً هنا.

يمتاز فيسبوك برحابة لا يوفرها تويتر من حيث حجم مساحة الكتابة في منشور واحد، وإمكانية نشر صور أكثر في منشور واحد، ومقالات كاملة إن شئت، لكن فيسبوك يصل بين الأشخاص، ويتيح معرفتهم بشكل وثيق، فهو منصة اجتماعية، بينما لا يتيح تويتر تلك الإمكانيات لمعرفة الآخر، ولم يعتمد تويتر الرسائل الخاصة، التي شكلت جانباً مهماً للسوريين، إلا لاحقاً.

يميل السوريون إلى الاستفاضة في منشوراتهم، ويغنونها بالصور، والفيديوهات، وهذا أمر طبيعي في ظل التسارع غير المتوقع للأحداث وتصاعد العنف وغزارة الأخبار وهول الأحداث، والحاجة لنقل الكثير منها مرفقةً بالأدلة التي شكلت الصور والمقاطع المصورة عمادها، ولا شك أن قدرة فيسبوك على التعاطي مع هذه الأشياء أكثر اتساعاً من تويتر. لكن البعد الاجتماعي لعب أيضا دوراً كبيراً في انحيازهم إلى فيسبوك، فشبكات المعارف والأصدقاء التي أتاحها فيسبوك وإمكانية الانخراط فيها، حفزهم على البقاء هناك، فأصبح هو حيز الراحة الخاص بكل منهم، وأمست مغادرته أكثر صعوبةً من قبل بعد أن اعتادوا عليه كل هذا الاعتياد، حتى حين فقد جدواه في إيصال صوتهم إلى العالم. لكن اللغة وحواجزها كانت واحداً من تلك الأسباب أيضاً، فعدم معرفة الكثيرين منهم بلغات أجنبية ربما دفعتهم للعزوف عن فضاء تويتر الذي قد يتطلب معرفة بها.

لكن السوريين، ومجتمع الناشطين منهم على وجه الخصوص، دفعوا ثمناً كبيراً لهذا الانحياز لمنصة واحدة، فقد انغلقوا على أنفسهم، ليس فقط تجاه السوريين الآخرين ممن لا يشاطرونهم الرأي والتوجه السياسي وحسب، بل تجاه العالم الذي يجد في تويتر وسيلة أسرع لنقل الخبر، أو إقامة حملات التوعية والحشد والدعم.

إن دفع مواطني الدول الأخرى المهتمين بشؤون العالم الخارجي للانخراط في النقاش حول سوريا سياسياً وإنسانياً، ومعرفة ما يدور فيها بعيداً عن الإعلام التقليدي الموجه أمرٌ على غاية الضرورة في ظل القدرة الهائلة للمجتمعات على الدفع باتجاه تغيير السياسات، وعلى السوريين بذل الجهد للخروج من فضاء فيسبوك الذي أغلقوه على أنفسهم إلى فضاءات جديدة أكثر رحابة قد تحظى فيها قضيتهم بانتباه هم بأمس الحاجة إليه.

# الزميل ميرال بروردا.. مرشحاً لجائزة بريمن الدولية

طلعنا عالحرية: أعلنت منظمة schwelle Foundation الألمانية والتي تُصدر جائزة بريمن الدولية للسلام نسبة لمدينة بريمن الألمانية عن قائمتها المختصرة لمرشحي الجائزة للعام 2015 ، حيث تضمنت القائمة مجموعة من الشخصيات والمنظمات العاملة في مجال حقوق الإنسان والسلام و المساواة بين الجنسين ومناهضة الأسلحة النووية من مختلف أنحاء العالم.

وقد تضمنت القائمة نشطاء من الهند والبرازيل وباكستان وبولندا وسويسرا وجواتيمالا والصومال وألمانيا، واختارت مرشحها من سوريا الناشط الحقوقي السوري ميرآل بروردا، حيث عنونت إعلانها الخاص بترشيح الناشط السوري بروردا بعنوان (ما بعد الدكتاتورية والإرهاب) وبعنوان فرعي يتضمن محتوى الترشيح بعبارة (كم يمكن أن يكون النضال من اجل السلام خطيرا).

وقد تحدث إعلان المنظمة على موقعها الرسمي باللغتين الألمانية والانكليزية عن تجربة الناشط ميرآل بروردا منذ عام 2004 إبان الانتفاضة الكردية ضد النظام السوري ونشاطه في الاحتجاجات الشعبية السلمية في 2011 ومناهضة الإرهاب الذي يتصدره الفكر الجهادي التكفيري في منطقة الشرق الأوسط، ثم تأسيسه لمركز التآخي للديمقراطية والمجتمع المدني الذي يعمل على توعية المجتمع السوري بالمبادئ الأساسية لحقوق الإنسان والسلم الاهلي والعيش المشترك والسعي الحثيث من أجل بناء سوريا المستقبل الخالية من الدكتاتورية المتمثلة بالنظام السوري وأوجه الإرهاب الأخرى.

الجدير ذكره أن جائزة بريمن الدولية للسلام تصدر كل عامين، وكان قد تم اختيار 70 مرشحاً من شخصيات ومنظمات مدنية في المرحلة الأولى بداية العام الحالي 2015 لتنتهي عملية الترشيح بقائمة مختصرة من 13 ناشطاً ومنظمة بدأت

منظمة schwelle Foundation بنشر ترشيحاتها الثلاثة عشر عبر موقعها الرسمي منذ شهر آب المنصرم، وسيتم الإعلان عن الفائز بالجائزة خلال الشهر الحالي أيلول 2015 .

أخيراً تهنيء هيئة تحرير طلعنا عالحرية الزميل ميرال عضو الهيئة بترشيحه للجائزة متمنين له الفوز ومزيداً من الإنجاز والعطاء لقضايا شعبه.

Majed Kayali

باختصار القضية السورية ليست قضية لاجئين..

جدير بالمتعاطفين مع قضية اللاجئين، ومع مأساة الطفل ايلان، التذكر بأن وراء هذه الكارثة نظام له اسم، وأن قضية السوريين لاتقتصر على مأساة اللجوء فثمة اهوال اخرى ضمنها حصار مناطق بأكملها وتحويلها الى حقل رماية للبراميل المتفجرة والصواريخ، مع مئات الوف الضحايا ودمار مدن بأكملها وعشرات الوف المعتقلين وملايين المشردين في سوريا وفي الدول المجاورة. مع التقدير للمتعاطفين الجدد.

Bassam Alahmad

ما صدّقنا حتى رجعت القضية_السورية واحتلت الواجهة في الصحف العالمية ونشرات الأخبار بسبب صورة لطفل سوري غارق هزّت العالم، حتى طلعنا ناس سوريين ما ركبت معن السيرة، إنّو ليش هاد الطفل بالذات وليش مو الطفل يلي مات بالمنطقة الفلانية وليش التركيز على هذا الطفل ونسيان ما يحدث في المنطقة الفلانية. وبلشو ينبحتو ع الناس ويستحضرو قصص تانية شي قديم وشي جديد وبلشت حملات مضادة ضمنياً للسيرة .. هيك بس منشان يتم صرف النظر عن صورة تاريخية اختزلت كلّ المأساة السورية ويفشلو الحملة ...

نحن أعداء أنفسنا وأعداء ثورتنا وقضيتنا ..